

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

تحطيم الدليل الثاني لأصالة التعبدية

و عقيبَ ما تخلَّصنا من الدليل الأول تجاه «أصالة التعبدية» وفندناه تفنيداً، فسنتصدى الآن لمستمسكهم الثاني حيث استظهروا أصالة التعبدية من الآية التالية: «و ما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاءً ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة» [1] زاعمين أن امتثال كافة أوامر الله تعالى يتطلب الإخلاص والنية الصافية العبادية، إذ اللام - ليعبدوا - تعد غائية بحيث إن الهدف الغائي من أوامر الشارع هي العبودية المخلصة، فبالتالي ستسجل أصالة التعبدية لدى الامتثالات.

بينما قد رفضنا هذه الاستدلالية أيضاً إذ:

1. هات الآيات تخص الكفار والمشركين فحسب فإن ظاهرها أنها قد ركزت على كتبهم السماوية و رسلهم و أوامرهم المسجلة في شريعتهم و تفرقاتهم و... حيث انصب حوارها على العناوين التالية: «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة» * «رسول من الله» يتلو «صحفاً» مطهرة * فيها كتب «قيمة» * و ما تفرق الذين «أوتوا الكتاب»... إلى آخرها، و حيث إنهم قد تبنا معتقدات زائفة نظير قوله تعالى: «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة» [2] و قوله تعالى: «ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» [3] فبالتالي قد أجابهم تعالى بأن العبودية منوطة بالخلوص والحنفية فحسب.

إذن فالآية مُنعدمة الصلة بأوامر المسلمين - التي موقع صراعنا - فرغم أن المسلمين أيضاً مأمورون بالإخلاص والتقرب ولكن الآية لا ترتبط بهم. [4]

2. فلو تنازنا فسلمنا عدم خصوصية الكفار وأهل الكتاب، لاحتوت المسلمين أيضاً - وفقاً للمقياس المذكور: «و ذلك دين القيمة» و حيث إن كافة العباد مكافون «بالدين القيم» فسيتوجب على عامة الطوائف والأديان أن يؤجّدوا الله تعالى - و لكن سنُجيب بأن الآية ليست ضمن مقام تبين «كيفية العمل» أساساً بل تركزت فحصرت «المعبود في الله تعالى» بأن الواجب أن يُعبد الله فحسب دون غيره - درءاً للشرك - فبالتالي لم تُحدّد كيفية الامتثال ولزوم اتخاذ القصد فيه.

[1] سورة البينة الآية 4.

[2] سورة المائدة الآية 73.

[3] سورة الزمر الآية 3.

[4] و لكنّه استظهار مستبعد إذ أولاً: الآية الثانية تدلّ على أن المسلمين مندرجون أيضاً ضمن خطاب الآية، حيث يُصرّح تعالى: «رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة» فإن الرسول - سواء الخاتم أم غيره - يتلو الآيات على العالمين بأسرهم لا الكفار فحسب، وثانياً: إن المورد لا يُخصّص القضية والتعليل الوارد ضمن الآيات.

